



كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

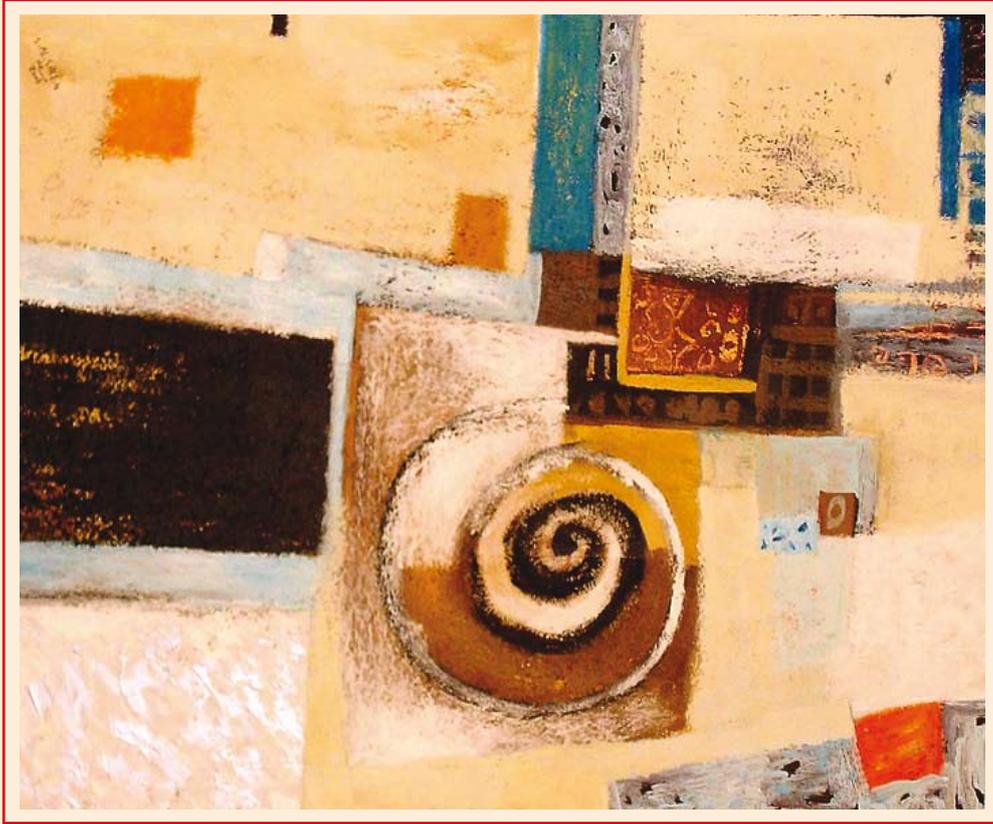


أنساك

ANSAQ

مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University



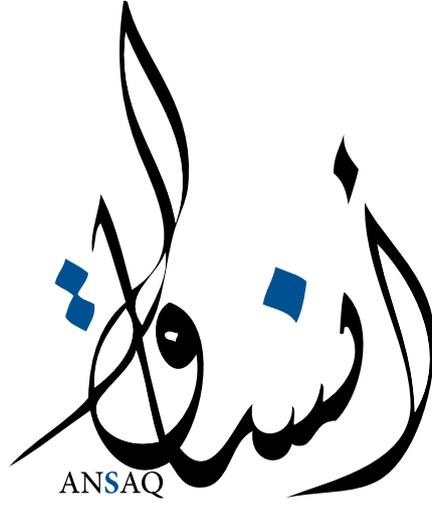
ON LINE-ISSN: 2520-7148

PRINT-ISSN: 2520-713X

أكتوبر
2017

العدد
2

المجلد
1



مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الأول
العدد الثاني - أكتوبر 2017م

المجلد الأول، العدد الأول

مايو 2017م

لوحدة غلاف العدد «حكاية قرية» للفنانة القطرية سعاد السالم

شعار اسم أنساق بخط: إبراهيم أبو طوق

للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر. كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق

المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : ansaq@qu.edu.qa

الموقع الإلكتروني للمجلة : www.qu.edu.qa/ansaq

الترقيم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : + 974-4403-6441 + 974-4403-4823

فاكس رقم : + 974-4403-4501

رقم الإيداع : 445/2016



مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

* المدير العام *

الدكتورة مريم النعيمي
رئيس قسم اللغة العربية

* مدير التحرير *

د. أحمد حاجي صفر

* الإشراف العام *

الدكتور راشد أحمد الكواري
عميد كلية الآداب والعلوم

* رئيس التحرير *

أ.د. عبد القادر فيدوح

* هيئة التحرير *

امتنان الصمادي
رامي أبو شهاب
رضوان المنيسي
عبد الله الهيتاري
عماد عبد اللطيف
عمرو محمد فرج مدكور
محروس بريك
محمد مصطفى سليم
هيا محمد الدرهم
علي فتح الله
لولوة حسن العبد الله

* الهيئة العلمية *

حافظ إسماعيلي علوي
حبيب بوهروور
رشيد بوزيان
عبد السلام حامد
مبارك حنون
محمود الجاسم
مراد مبروك

* الهيئة الاستشارية *

حمد بن عبد العزيز الكواري (قطر)
سعيد يقطين (المغرب)
شكري المبخوت (تونس)
عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي (قطر)
عبد الله العشي (الجزائر)
عقيل مرعي (إيطاليا)
علي الكبيسي (قطر)
فاضل عبود التميمي (العراق)
مصطفى قرقرز (تركيا)
معجب العدواني (السعودية)
هادي حسن حمودي (بريطانيا)
Eric Gautier (France)
Luc Deheuvels (France)

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
 - ✪ عنوان البحث باللغة العربية،
 - ✪ اسم الباحث باللغة العربية،
 - ✪ اسم الجامعة،
 - ✪ البريد الإلكتروني،
 - ✪ ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✪ الكلمات المفتاح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
 - ✪ عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
 - ✪ اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
 - ✪ اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
 - ✪ البريد الإلكتروني،
 - ✪ ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✪ الكلمات المفتاح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء / أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائياً دون النظر في محتواه.

فهرس

استهلال

- 13 سعيد يقطين. المغرب من أجل تفكير نسقي

متون

- 17 سامي حسين علي القصوص المفارقة وخطاب الضد في شعر نزار قباني مقارنة تحليلية نقدية
37 لخضر هني اللامنتمي واختراق النموذج الموصوف (مقاربة ثقافية في الشعر الجاهلي)
55 محمد صالح حماد الحصيني تجليات الصورة في شعر صالح الزهراني دراسة في التشكيل والدلالة

دلالات

- 79 لؤلوه حسن العبد الله العوالم الممكنة في الرواية التاريخية قراءة في رواية القرصان
95 خالد علي ياس سنن النص نحو تأويل سوسولوجي للعلامة السردية النقد العربي الحديث مثالا
109 رامي أبو شها الخطاب القيمي في القصة القطرية الإشكالية... والممارسة
129 أم السعد حياة وظائف تمثيل الخطاب الغيري في الرواية وفق المنظور الباخثيني

سياقات

- 143 حسيب الكوش سيميائيات الأنساق الحية: من العلامات العصبية إلى النص الجيني
165 عادل فتحي رياض البناء النسقي في القرآن مفهومه وتطبيقه النحوي

لغويات

- 189 امحمد الملاخ التواصل: أسسه اللسانية ومقتضياته المعرفية
- 207 عبد السلام السيد حامد الاستماع من منظور الكتابة ولسانيات المنطوق
- 225 محمّد الناصر كحولي بلاغة الإقناع في صور الخطاب المقامة الجرجانية للهمذاني أنموذجا



دعوة للمشاركة

في العدد القادم (ربيع 2017) حول موضوع

« نظرية السياق »

لغويات أنساق

بلاغة الإقناع في صور الخطاب المقامة الجرجانية للهمذاني أنهودجا

الدكتور: محمّد الناصر كحّوي

جامعة المنستير، تونس
knacirov1@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2017/6/10

تاريخ القبول: 2017/6/11

ملخص :

يروم هذا المقال مقارنة صور الخطاب في الخطاب السردّي من وجهة نظر بلاغة الحجاج، والبحث في مصادر قوتها الإقناعيّة. فقد دأبت المقاربات الإنشائيّة على حصر وظائف صور الخطاب في الوظيفة الجماليّة الجارية إلى الإمتاع، وأقصت كلّ مقصد أو بعد حجاجي. واختلفت المقاربات الحجاجيّة حول هذه الوظائف تبعاً لاختلاف المنطلقات النظرية.

وقد أقمنا هذا البحث على محورين كبيرين: يجري المحور الأوّل النظريّ إلى معالجة وظائف صور الخطاب في المنجز النظريّ، ومساءلة بعض التصورات البلاغيّة، والبحث في المقاييس المعتمدة لتصنيف وظائف صور الخطاب أو التمييز بين وظيفة وأخرى.

وأما المحور الثاني فمحور تطبيقيّ سنتدبّر فيه صور الخطاب الواردة في المقامة الجرجانية للهمذاني. ونميّز بين أصناف صور الخطاب الصوتيّة والتركيبية والدلالية. ثمّ ننظر في نُظم اشتغالها حجاجياً. ونتتبع المصادر التي تستمدّ منها قوتها الإقناعيّة، ونقف على ما لها من مفعول حجاجي. وسنستند في ذلك إلى مقولات البلاغة الغربيّة والبلاغة العربيّة سواء القديمة أو الحديثة.

الكلمات المفتاح:

صور الخطاب، نظام الاشتغال، الطاقة الحجاجيّة، المفعول الحجاجي، التأثير، قوّة الإقناع، الوظيفة الحجاجيّة.

The Rhetoric of Persuasion in Discourse forms

A Study on Hamadhany's Georgeni Maqamat

Dr. Kahhouli Mohamed Nacer

University: Monastir, Tunisia

knacirov1@yahoo.fr

Abstract

This article applies a discourse analysis approach to the narrative discourse from the perspective of argumentative rhetoric and studies the origins of its persuasive powers. Structural approaches have often strived to enumerate the functions of different discourse forms and their entertaining aesthetic roles, eliminating any argumentative objective or dimension. Generally, argumentative approaches do not agree on such functions; which are explained by their different theoretical foundations.

The present work is based on two big axes: the first is theoretical and aims at examining the functions of discourse forms in theory, questioning a number of rhetorical forms, and studying the various criteria used in the classification of the functions of discourse forms and in the distinction between one function and another.

As for the second axis, it is rather practical and deals with discourse forms in Hamadhani's Georgeni Maqamat. Here, the study focuses on the distinctions between different phonetic, structural, semantic and cognitive discourse forms, and then examines their argumentative functions and the sources of their persuasive powers as well as their argumentative effects. The research is based on old and modern, Western and Arabic rhetoric.

Key Words:

Discourse forms – operating system – argumentative power – argumentative impact – effect – persuasive power – argumentative function.

1- وظائف صور الخطاب

لا يتّصل الاختلاف حول صور الخطاب بمدى حضورها في الكلام أو غيابها منه، أو بأنواعها وأصنافها⁽⁶⁾ فحسب بقدر ما يتّصل بوظائفها. وإذا كانت الصور وظيفيّة في جوهرها على حد عبارة تامين⁽⁷⁾ فإنّ هذه الوظائف قد تباينت من حقبة تاريخيّة إلى أخرى، ومن تيّار إلى آخر، وأحياناً من باحث إلى آخر. ويمكن أن نميّز بين أربعة تصوّرات كبرى حول وظائف صور الخطاب: يصل التصرّح الأوّل هذه الوظائف بمبدأ النوع الخطابيّ، فقد ميّز أرسطو بين صنفين استناداً إلى وظائف القول الشعريّ والقول الخطبيّ: صنف يناسب

(6) اختلف الباحثون في ضبط قائمة في صور الخطاب أو الوجوه البلاغيّة. وكان فونتانياي قد اقترح تصنيفيّة في ذلك موزعة حسب الأجناس والأنواع والأصناف. ومن أبرزها صور الدلالة وصور التركيب وصور العبارة وصور الأسلوب وصور الفكر. يُنظر ذلك مفصلاً:

Pierre Fontanier, Les figures du discours, Flammarion, Paris, 1977.

وصنّف بيرلمان وتيتيكاه صور الخطاب أو الوجوه البلاغيّة استناداً إلى معيار المفعول الحجاجيّ ثلاثة أصناف: صور الاختيار وصور الحضور وصور الاتّحاد.

Chaim Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Éditions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, 2008, p. 232.

ونظر ريشارد أركاند في سبع وستين صورة من صور الأسلوب، أوردتها حسب الترتيب الأنفيائيّ.

Richard Arcand, Les figures de style, Les Éditions de L'HOMME, Quebec, 2004.

وأما معجم صور الأسلوب فقد تضمّن سبع عشرة ومائة صورة مرتبة ألفبائياً.

Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des figures de style, Armand Colin, 2ème édition, Paris, 2011.

وأثرت كاترين فروميلاغ مقارنة صور الخطاب من خلال تصنيفها إلى صور الإلقاء وصور الاسترسال الصوتيّ، وصور التركيب، وصور التمثيل وصور الفكر. ينظر ذلك مفصلاً:

Catherine Fromilhague, Les figures de style, op. cit.

ولصور الخطاب عند أوليفييري ريبول أربعة أصناف: صور الكلمات وصور الدلالة وصور البناء وصور الفكر. يُنظر تفصيل ذلك:

Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, Presses Universitaires de France, 2ème édition, Paris, 1994, pp 121-145.

أما روبريو فقد واقترح تصنيفاً مغايراً يتكوّن من صور الدلالة وصور الكلمات وصور الفكر وصور التركيب. يُنظر ذلك:

Jean-Jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, Editions Nathan/Her, Paris, 2000, pp. 44-45.

(7) Joelle Gardes Tamine, La rhétorique, Armand Colin, 2ème édition, Paris, 2011, p. 161.

بلاغة الإقناع في صور الخطاب المقامة

الجرجانيّة للهمذاني⁽¹⁾ أنموذجاً

تمهيد

إنّ صور الخطاب⁽²⁾ عنصر تكوينيّ في الكلام، بدءاً من الخطابات العاديّة المتداولة في معيش الناس اليوميّ⁽³⁾ وصولاً إلى الخطابات الفلسفيّة الموغلة في التجريد. وهي عدول صوتيّ وتركيبيّ يرتقي به الكلام من الدرجة الصفر إلى الكلام المصوّر. وعدول دلاليّ عن المعنى الأوّل إلى المعاني الثواني. وعدول تواصليّ⁽⁴⁾ عن القول إلى المقول. وحضور الصور في الكلام قد تستدعيه اللغة لرتق فتق في نظامها الدلاليّ، لكون الصور استدراكاً باللغة على اللغة. وقد يستدعيه الإنسان لمعرفة العالم وفهمه، لكونه حيواناً استعارياً حسب نيتشه⁽⁵⁾.

وتعدّ صور الخطاب أو الوجوه البلاغيّة من أمّهات المسائل البلاغيّة. وهي مسألة خلافيّة وموطن جدل مستمرّ، تشير من الأسئلة أكثر ممّا تقدّم من الأجوبة لسببين على الأقلّ: يتّصل أولهما بكونها ملازمة للكلام مسجّلة في بنى كلّ خطاب، فهي جزء من صناعة الكلام وكلّ عمليّات التفكيك والتأويل. ويتّصل ثانيهما بكونها تمثّل منطقة مشتركة بين أنواع الخطاب من جهة، وبين وظائف الكلام من جهة أخرى. وتؤدّي هذه الخواصّ إلى استدعاء أغلب المقولات الإنشائيّة حول صور الخطاب أمام المسألة البلاغيّة من جديد، واستئناف الأحكام السابقة لا سيّما تلك المتّصلة بوظائف هذه الصور.

(1) بديع الزمان الهمذانيّ، المقامات، شرح محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت)، ص 56-60.

(2) على الرغم من تقارب المفهوم فإنّ الباحثين استعملوا مصطلحات مختلفة من قبيل صور الخطاب وصور الأسلوب والوجوه البلاغيّة والتعابير المصوّرة.

(3) يُنظر مثلاً:

Paul Ricoeur, La métaphore vive, Editions du Seuil, 1975.

(4) Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, Ed - tions Champion, Paris, 2005, p. 18.

(5) هذا الرأي أوردته كاترين فروميلاغ. يُنظر:

Catherine Fromilhague, Les figures de style, Armand Colin, Paris, 2005, p. 13.

تصوّر ثالث يربط وظائف صور الخطاب بالسياق الذي تنتزّل فيه، ويعدّ الصورة حجاجية بغيرها. فتعدّدت هذه الوظائف، حسب ريشارد أركاند نظرا إلى تعدّد السياقات، فقد تكون الصورة وسيلة لإنجاب المعاني الثواني، وقد تؤسّس علاقة مشاركة، ذلك أنّ بعض الصور يدعو المتلقّي إلى التنبؤ بما هو مجرد اقتراح. وبعضها الآخر يجبره على تأويل الغامض أو المتعارض من المعاني. وقد تكون الصورة للإضحاح والتسلية، وقد تكون لموازرة الإقناع وتقويته واستلاب انخراط القارئ أو السامع⁽⁷⁾.

وأما التصوّر الرابع فيمكن عدّه تصوّرا توفيقيا يجمع بين التصوّر الثاني والثالث، فوظائف الصورة عند مارك بونوم تتحدّد استنادا إلى أربعة عوامل: يتّصل العاملان الأوّلان بالسياق. ويتّصل العاملان الآخران بالصورة في حدّ ذاتها⁽⁸⁾.

والرأي عندنا أنّ وظائف صور الخطاب تتجاوز حدود النوع الخطابّي الذي يستدعيها، ولا تخضع لإكراهات بنية الصورة الداخلية، وإنّما ترتبط بمقتضيات السياق والاعتبارات الخطابيّة، وتتّصل بوظائف الكلام. والحكم اليوم ببراءة الكلام لا يستقيم على أيّ وجه من الوجوه، بل أصبح حديث خرافة⁽⁹⁾. فكلّ منشئ خطاب سواء أكان خطيبا أم شاعرا يجري إلى التمكين لفكرة أو إشعال نازعة من النوازع وإخماد أخرى، أو كليهما. فإن لم يصرّح بمقاصده الحجاجية فهو يضمن موقفا ويهتّم بعدا ويبطن توجيها ويخفي تحفيضا على فعل دون آخر.

(7) Richard Arcand, Les figures de style, op. cit. pp. 12-13.

(8) Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, op. cit. p. 181-186.

وترتبط وظائف صور الخطاب في البلاغة العربيّة بعوامل عدّة: منها المقام ومقتضى الحال والنوع الخطابيّ، فالتمثيل عند الجرجاني إن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أفهو، وبيانه أبهو.

عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، 2009، ص 80.

(9) لا تُقدّم أيّ معلومة حسب فروميلاغ تقديمها محايدا.

Catherine Fromilhague, Les figures de style, op. cit. p. 8.

الشعر، وآخر يناسب الخطابة. والصور التي تناسب الخطاب الشعريّ تهب الأسلوب في الخطاب الإقناعيّ برودا وسخريّة. ولذلك أخذ جورجياس على إفراطه في استعمال الصور لا سيّما تلك الموغلة في التجريد، فقد أفقدها قوتها التأثيريّة والإقناعيّة وحولها صورا شعريّة أخرجت الخطاب من الخطابة إلى الشعر⁽¹⁾. وظلّ لهذا التصوّر صدى في الدراسات الحديثة⁽²⁾.

ويربط التصوّر الثاني وظائف صور الخطاب ببنية الصورة ذاتها، فقد أعرض كبير الأرسطيّين الجدد شاييم بيرلمان عن الصور الأسلوبية ذات الوظيفة الإمتاعية، وولّى وجهه شطر الصور الحجاجية ذات الوظيفة الإقناعية. والوجه في ذلك أنّ الأولى مجرد زهرة ذابلة في مرج، لا روح فيها ولا تزيد على كونها زخرفا جماليا في الخطاب، والثانية مطيئة إقناع وحمالة تأثير واقتناع⁽³⁾. ومن صور الخطاب الأثيرة عند بيرلمان الصور الدلالية خصوصا التمثيل، وهو يقوم على تشابه العلاقة بين عنصريّ الموضوع (Thème) (أ / ب) وعنصريّ الحامل (Phore) (ج / د)، ولا يقوم على علاقة التشابه⁽⁴⁾. ومتى ورد التمثيل مكثفا وانصهر عنصر من الحامل مع عنصر من الموضوع تحوّل استعارة⁽⁵⁾.

ولئن أخذ بعض الباحثين بهذا التصوّر⁽⁶⁾ فقد ظهر

(1) Aristote, Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991, p. 311 (1406 b).

(2) محمّد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وأفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب، دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، 2014، ص ص 116-126.

(3) Chaim Perelman, L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, Librairie philosophique, J. Vrin, 2ème édition, Paris, 2002, p. 14.

(4) Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, op. cit. p. 501.

(5) Ibid, pp. 535-536.

(6) يرى أوليفي ريبول أنّ الصورة لا تكون بلاغية إلا متى نهضت بدورها في الإقناع.

Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, op. cit. pp. 77-121.

وتشتغل الصورة عند تامين اشتغالا ذاتيا. وهي ليست إلا تشكلا يستعمل بعض آليات اللغة استعمالا نوعيا، فلا وجود لصورة دون نظام خطابيّ.

Joelle Gardes Tamine, Pour une nouvelle théorie des figures, PUF, Paris, 2011, pp. 124-128.

وارتأينا للإجابة عن هذه الأسئلة وشبهها أن نتدبر المقامة الجرجانية للهمذاني. ويرد اختيارنا هذه المقامة إلى أنّ المقامات أكثر أنواع الخطاب السردية احتفاءً بصور الخطاب وتنوعها لها، وأقربها إلى الخطاب الشعريّ الجاري إلى الإمتاع، وموطن هذه الصور الأثير. ويقتضي النظر في حجاجية صور الخطاب الوقوف على مصادر المقامة الجرجانية البلاغية.

2- بلاغة المقامة الجرجانية

تمثّل المقامة الجرجانية عملاً قولياً كبيراً (Macro-actes de langage) ⁽⁵⁾، بُني على سياق تخاطبيّ خارجيّ وسياقين تخاطبيين داخليين: يشمل السياق التخاطبيّ الخارجيّ بديع الزمان الهمذاني من جهة كونه منشئ المقامة، وشخصية تاريخية عاشت في القرن الرابع هجرياً، والقارئ أو السامع الكونيّ (Auditoire universel) الذي لم يجمعه بالهمذاني مقام تلفظ واحد، والخطاب وهو المقامة الجرجانية، وهي جزء من كلّ هو مقامات الهمذاني. ودُكرت عناصر السياق التخاطبيّ الداخليّ في السند، وشملت عيسى بن هشام والروايّ الأوّل الذي تحمّل المقامة سماعاً، مع جمع من الحاضرين.

وأما السياق التخاطبيّ الداخليّ الثاني فطرفاه أبو الفتح الإسكندريّ من جهة، وجماعة الأصحاب من جهة أخرى. وقد بادر الإسكندريّ بالكلام، وجاء تدخله طويلاً أنجز فيه سلسلة من الأعمال اللغوية، افتتحها بالنداء واختتمها بالدعاء، وبينهما إثبات وقسم وحصر وأمر ونهي. ويستجيب خطاب الإسكندريّ لشروط المثلث الحجاجيّ (Le triangle argumentatif) عند فيليب بروتون. ويشمل الخطيب والحجة والسماع الرأى

(5) Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, op. cit. p. 11.

وكلّ خطاب أيّاً كان السياق الحافّ به، موجّه من منشئ إلى سامع خاصّ أو كونيّ، حقيقيّ أو افتراضيّ، للتأثير فيه على أيّ نحو من الأنحاء. وإن لم يكن الخطاب حجاجاً صريحاً وعملاً قولياً مباشراً فهو حجاج متكرّر في لباس شعريّ، وعمل قوليّ غير مباشر استلزمته خواصّ السياق الحافّ به ⁽¹⁾. إذ كلّ خطاب قبل تدوينه أو ترهينه نتاج عملية تلفظ، وكلّ «تلفظ يعدّ في جوهره تحاورياً (Dialogique) بالمعنى نفسه الذي يكون قابلاً فيه للتحليل» ⁽²⁾. وعلى هذا النحو فهم ساسة بني العباس كتاب «كليّة ودمنة»، ومقاصد صور الخطابية وأبعادها، فقتلوا ابن المقفّع شرّقتة ⁽³⁾. ولذلك فإنّ وظائف صور الخطاب ترتبط بوظائف الخطاب ذاته. ولما كان كلّ خطاب في جوهره حجاجياً ⁽⁴⁾ فإنّ الوظيفة المهيمنة على صور الخطاب لا تعدو أن تكون الوظيفة الحجاجية.

وبعد أن استقام أمر وظائف صور الخطاب على نحو مقنع أو يبدو أنّه مقنع، فإنّ المسألة الأهمّ تتصل بأنظمة اشتغال هذه الصور حجاجياً في الخطاب السردية، ومصادر قوتها الإقناعية، ومفعولها الحجاجيّ لا سيّما أنّ أغلب البحوث والدراسات قد انصرف إلى وظيفة صور الخطاب الإمتاعية انصرافاً يكاد يوقع في الذهن أنّ صور الخطاب لا تكون في السرد إلاّ حلية جمالية. فكيف تشتغل هذه الصور حجاجياً؟ ومن أين تستمد قوتها الإقناعية؟ وفيما يتمثّل مفعولها الحجاجيّ؟

(1) ترى روث أموسي أنّ الحجاج موجود في قلب الخطاب، أين يكون كذلك مفتوحاً على الآخر، ويحاول الوصول معه إلى اتّفاق.

Ruth Amossy, La place de l'influence et de la persuasion dans l'analyse du discours, in L'analyse de discours sa place dans les sciences du langage et de la communication, Presses Universitaires de Rennes, 2015, p. 61.

(2) Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, p. 18.

(3) أصبحت أسطورة المرجع الذاتيّ للأثر الأدبيّ حسب فروميلاغ مقولة قديمة. Catherine Fromilhague, Les figures de style, op. cit. pp. 17-18.

(4) Christian Plantin, L'argumentation, Collection MEMO, Editions du Seuil, Paris, 1996, p. 18.

3- الصور الصوتية

كثّف الإسكندرّي في خطابه أمام جماعة الأصحاب من الصور الصوتية⁽²⁾، وأجرى مختلف أنواعها. وأكثر هذه الأنواع تواترا التسجيع.

(أ) التسجيع

إنّ التسجيع في النثر «تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد»⁽³⁾. ومتى توفّرت فيه أربعة شروط «جاء في غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام»⁽⁴⁾. وقد راح الإسكندرّي في التسجيع بين المطرّف والمتوازي والترصيع⁽⁵⁾، ونوع فاصلتيه طولاً وقصراً، فأحيانا تتمدّد، وتتطابق مع الجملة النحوية، فيتضاعف الوقف، نحو قوله: «جبت الأفاق وتقصّيت العراق». وأحيانا تتردّد، وتتطابق مع النواة الإسنادية وتمّماتها، نحو قوله: «ما هنت حيث كنت». وأحيانا أخرى تتقلّص، وتستوي مع مكوّن من مكوّنات الجملة، كقوله: «فاعتضت بالنوم السهر وبالإقامة السفر».

وقد جرى السجع لئّن المقادة سلسا خلوا من التكلف، طبعاً يستدعيه المعنى ويطلبه⁽⁶⁾. فكلّ قول مسجوع يستوي المعنى ويحيط به، فكأنما الألفاظ خيطلت على مقداره. ولنستدلّ على ذلك بالجدول التالي:

- (2) اصطلاح أوليفي ريبول على الصور الصوتية بـ«صور الكلمات»، وقسمها مجموعتين: أولهما صور الإيقاع، وثانيتها صور الصوت.
Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, op. cit. pp. 123-126.
(3) ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009، ص 1746.
(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009، ص ص 185-187.
(5) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009، ص 308.
(6) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص ص 6-7.

وسياق التقبّل⁽¹⁾. والرأي الذي يسعى الإسكندرّي إلى حمل جماعة الأصحاب على التسليم به والإذعان له أو الزيادة في درجة ذلك التسليم والإذعان هو أنّه عزيز قوم أذلّته المصائب وأفقرته النوائب. ومن كان هذا حاله فهو أولى بالعطايا وأجدر بالمكرّمات. ثمّ ينتظر ما يترتّب على ذلك من العطاء والنوال.

وقد أثر لتحقيق هذه المقاصد اتّباع استراتيجية خطابية مآكرة مخالطة مضلّلة، تكمل ما كان قد بدأ به في حجة الإيتوس السابق للخطاب (Ethos prédiscursif) باختياره لهيئة مخصوصة تبني في أذهان الأصحاب ونفوسهم صورة ذاته (Image de soi) قبل أن يتكلّم.

فكّر الإسكندرّي وقدّر، واهتدى إلى أنّ نجاح استراتيجية خطابيه في إقناع القوم أو حملهم على الاقتناع بأنّه محتاج، وتحفيزهم على فعل العطاء لن يكون بوصول الحجج بالمواضع المشتركة، أو ترصيف الأدلّة، أو ترتيب أجزاء القول وفق سنن الخطابة، وإنّما يكون بالتعويل على ما في البيان من سحر، وما في صور الخطاب من أسر. فهو يعلم أنّ الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثرون بعقولهم، وهم في حاجة إلى الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة. فلا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله كما ينبغي. ويعلم كذلك أنّ سياق التقبّل، بمفهوم بروتون لاحقاً، يوفّر له اشتراكاً مع السامع في المواضع والمقدّمات الحجاجية والآراء والقيم والأحكام، ومنها أنّ من البيان لسحرا. فمرّ عجلًا إلى إدخال استراتيجيته الخطابية حيّز التنفيذ، فكسا خطابه صورا مبتدأ ومنتهى، وأكثرها تواترا الصور الصوتية. فكيف يشتغل هذا الضرب من الصور حجاجياً؟ ومن أين يستمدّ قوته الإقناعية؟ وفيه يتملّ مفعوله الحجاجي؟

(1) Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, Ed - tions La Découverte, Paris, 1996, pp. 17-18.

ويحسنها، «ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد»⁽¹⁾، فتسرّبت المعاني التي صاغها صياغة مسجوعة إلى صدور السامعين، ونفذت إلى أذهانهم، وسهل علوها بها، فسلموا بها تحت تأثير الإيقاع دون جحود أو إنكار، ودون أن تنقدح في صدورهم الشكوك. ويكون الإسكندري قد بدأ يمكن لدعواه، ويستدرج السامعين للانخراط فيها والقبول بها. ومن مقتضيات نجاح التمكين للدعوى إسناد التسجيع بلون آخر من ألوان الإيقاع الداخلي.

(ب) التجنيس

عرّف ابن المعتزّ التجنيس بقوله «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام»⁽²⁾، ولئن قدّم ابن الأثير وظيفة التجنيس الجمالية وعده «غرة شادخة في وجه الكلام»⁽³⁾ فإنّ عبد القاهر الجرجاني يشترط في التجنيس حسن الإفادة، وأن يرد عضو خاطر بطلب من المعنى لا المتكلم، ولا يستحسن «تجانس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا»⁽⁴⁾.

وقد نثر الإسكندريّ التجنيس في كامل أحناء الخطاب مقتصرًا على غير التام منه. ففي قوله «تترامى بي المرّامي، وتتهادى بي الموامي»، معنى الارتحال المستمر في المكان والظعن الدائم في الصحراء. والجامع بينهما أنّ الأماكن والصحاري فضاءات تتلعب بالمتكلم، ويهديه هذا إلى ذلك، فلا يقيم ولا يستقرّ.

التسجيع	المعنى
إني امرؤ من أهل الإسكندرية، من الثغور الأموية	غريب الدار
جبت الآفاق، وتقصيت العراق	فاني العصا
ما هنت، حيث كنت	عزة النفس في حله وترحاله
نرغي لدى الصباح ونثغي عند الرواح	الجود والسخاء
وأصبحت فارغ الفناء، صفر الإناء	الفقر والخصاصة
وقد هبت بي إليكم ريح الاحتياج، ونسيم الإلتجاج	الاستعطاء

يشغل التسجيع الوارد في كلام الإسكندريّ حجاجًا من خلال ما يولده من إيقاع داخليّ، ونغم صوتيّ، ودفق موسيقيّ، تعلق تارة وتتسارع، وتهبط أخرى وتبطئ، وتنتج رجوع صدى. ويتجلّى مفعوله الحجاجي في مستويين: يتصل أولهما بانيساط النفوس وطربها، وانشراح الصدور وانتشائها، واطمئنان القلوب وهدوئها. ويتمثل المستوى الثاني في ما يترتب على طرب النفوس وانشراح الصدور واطمئنان القلوب، فتزول بواعث الشكّ من الأذهان، وتعدم عوامل الريبة من العقول، فيسلس قيادها ويسهل إذعانها، وتفرغ مما فيها وتملأ بما في ذهن الخطيب ووجدانه، ويوجهها الوجهة التي يشاء، ويتهيأ السامعون للقبول بما يُلقى إليهم وإن كانوا في موضع إنكار وجحود. وتحفزهم على الإقبال على فعل والعدول عن آخر.

وقد عدل الإسكندريّ عن الكلام العادي إلى الكلام المسجوع، لعلمه أنّ الحفظ إليه أسرع والأذان لسماعه أنشط، ولأنّ التسجيع يزِين الألفاظ

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 338.

(2) ابن المعتزّ، البديع، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، 2009، ص 21.

(3) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، 2009، ص 264.

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 4.

السمع ووقعت من القلب موقع الاستحسان. وهذا لا
مراء فيه بحال من الأحوال لبيانه ووضوحه»⁽³⁾.

وقد نَوَّع الإسكندرِيّ في خطابه من صور الموازنة،
فناسب بين الأوزان، نحو قوله: «فراشي المَدْرُ
ووسادي الحَجْرُ»، أو قوله: «وهدته الحَاجَةُ وكَدَّتْهُ
الفَاقَةُ». وناسب بين الصيغ الصرفية، نحو قوله:
«أَفْرِي الْمَسَالِكِ، وَأَقْتَرُ الْمَهَالِكِ، وَأَعَانِي الْمَمَالِكِ».

ولا تختلف الموازنة عن التجنيس والتسجيع إلا
في المدى، وهي تشغل حجاجاً من خلال ما تضيفه
على الكلام من إيقاع. وهو إيقاع ضعيفة أجراسه
هادئة موسيقاه، فيدعم الموسيقى الداخلية المتولدة
من التسجيع والتجنيس بما ينتج من ترجيع وتعاود
النغم وتكرار اللحن. ويتجلى مفعولها الحجاجي
في مضاعفة طرب السامعين والارتقاء بهم إلى
الطبقة العليا من الأريحية والانبساط، والدرجة
القصى من السرور والانتشاء، ويصبحون طوع
بنان الإسكندرِيّ ورهن إشارته.

ولما اطمأن الإسكندرِيّ إلى أن هذه الصور قد
هيأت الأصحاب للإذعان إلى ما يلقى إليهم من
أطروحات، وأنه قد أحكم السيطرة على نفوسهم،
استعان بنوع آخر من الصور الصوتية يخول له
تمرير بعض أفكاره ومعانيه تمهيدا للسيطرة على
عقولهم.

(د) المطابقة والمقابلة

تعرف المطابقة بأنها الجمع بين الشيء وضده
في الكلام⁽⁴⁾، وأحسنها حسب ابن رشيق «مساواة
المقدار من غير زيادة ولا نقصان»⁽⁵⁾. وأما المقابلة

(3) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 280.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 690.

(5) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، موسوعة الشعر العربي، الإصدار
الأول، 2009، ص 389.

ويستمدّ التجنيس طاقته الحجاجية من خلال
تكثيف الإيقاع الناتج عن التسجيع، وخلق جرس
قويّ. ويتصل مفعوله الحجاجي بأسر السامع
وتبنيه اللاهبي وتذكير الناسي، فتكون الأعناقُ
إلى الخطيب أميل، والعقولُ عنه أفهم، والنفوسُ
إليه أسرع، وتتسرب معانيه إلى السامع من
حيث لا يحتسب⁽¹⁾، فيتهيأ لقبول الدعوى ويتحمّز
للعمل بأوامرها ونواهيها. وقد ترسّخت المعاني في
ذاكرة الأصحاب⁽²⁾، فلانت عريكتهم، وتحركت
نازعة الشفقة فيهم فأمسكوا ينصتون، كأن على
رؤوسهم الطير.

ولم يكن للإسكندرِيّ سابق معرفة بالجماعة
المنصتة، فخفض عليه ما يدور في الأذهان، وجعل
درجة خطابه في سلم الصدق والكذب. فقد يكون
من بين الجماعة من هو خالي الذهن، وقد يكون من
بينها من هو شكّ متردد، وقد يكون من بينها من هو
جاحد منكر. لذلك عوّل على تكثيف صور الخطاب
الصوتية عسى أن يتسرب مفعولها الإيقاعي بعض
مراتب الشكّ والتردد أو الجحود والنكران، فلم
يقتصر على النوعين السابقين بل عزّزهما بثالث.

(ج) الموازنة

الموازنة هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في
الوزن دون التقفية، وهي «نوع من التأليف شريف
المحلّ، لطيف الموقع، وللکلام به طلاوة ورونق،
وسبب ذلك الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء.
وحيث كانت مقاطع الكلام معتدلة في الوزن لذّ بها

(1) ترى كاترين فروميلاغ أن التجنيس في السياق الشعري يستمدّ أثره الجمالي من
موسيقاه المتناهية الدقة واللطافة. وأما في السياق الاستدلالي فيرد حجة بسبب
ما يخلقه من تماثل تخيلي بين دوال متقاربة ومدلولات متقابلة.

Catherine Fromilhague, Les figures de style, op. cit. p. 24.

(2) يمنح التجنيس حسب ريشارد أركاند معاني الكلمات المتجانسة قيمة ويسهل
تخزين الرسالة، ويمثل سندا للحجة.

Richard Arcand, Les figures de style, op. cit. p. 130.

الحجاجي الثالث فيتصل بتعجيل انقياد السامعين إلى ما يريده الخطيب.

ويتضح بما تقدم أن الصور الصوتية تستمد قوتها الحجاجية من ثلاثة مصادر: يتمثل أولها في العدول بالكلام عن الدرجة الصفر إلى الكلام الشعري الموقّع. ويتصل ثانيها بالإيقاع، إذ يولد موسيقي تمهد للأفكار والمعاني وطاء ليّنا ومركبا ذلولا في طريقها إلى ذهن السامع ووجدانه. ويتصل المصدر الحجاجي الثالث بالإبراز، فتطفو الأفكار والمعاني المراد التمكين لها في ذهن السامع على السطح، وتنزل في درجة أعلى من الأفكار والمعاني الأخرى في السلم الحجاجي، وتحضر في الواجهة الأمامية من وعي السامع⁽⁵⁾.

ولهذه الصور الصوتية مفعول حجاجي⁽⁶⁾ ذو أربعة وجوه: أولها شدّ الأسماع وإماله الأعناق، فترتاح الأفتدة وتطرب النفوس وتطمئن القلوب، ويشدّ على السامع نفسه ونفسه. وثانيها استثارة إعجاب السامع بالألفاظ الفصيحة والمعاني البليغة وكفاءة الخطيب الخطابية. وثالثها ترسيخ المعاني والأفكار في الأذهان. ويتجلى المفعول الحجاجي الرابع في تأثر السامع بالخطيب وخطابه، وميله إلى اختيار ما اختاره الخطيب والتسليم بما جاء به من أطروحات، فينقاد إلى ما أريد له دون شك وتردد أو إنكار وجحود.

أيقن أبو الفتح الإسكندري أن الصور الصوتية التي أجراها ستأتي أكلها، وستؤدّي إلى طمأنينة

«فهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده»⁽¹⁾. وقد جعلها ابن الأثير ضربا من ضروب المطابقة⁽²⁾ على الرغم من تنوع الفوارق بينهما⁽³⁾. وقد توسّل الإسكندري في خطابه بالمطابقة، نحو قوله: البدو / الحضر. وأجرى المقابلة في قوله: «نُرغِي لَدَى الصَّبَاحِ، وَنُثَعِي عِنْدَ الرَّوَّاحِ»، وكذلك قوله: جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا، وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا.

وتستمد المطابقة والمقابلة في هذه الأمثلة طاقتهما الحجاجية من مصدرين: يتصل أولهما بالتقائهما بالسجع والجناس والموازنة في منح الخطاب دفقا من الإيقاع. ويتصل المصدر الثاني بقيامهما على تضاد المعاني والأفكار وتقابلها. وفي تقابل المعاني باب عظيم يحتاج إلى فضل تأويل⁽⁴⁾. فقد طابق الإسكندري في ترحاله بين «البدو» و«الحضر»، وقابل في العطاء بين «الراغية» في الصباح و«الثاغية» في المساء. وقابل في الدعاء بين «الخير» و«الشر». وفي ذلك إبراز لمعاني الترحال الدائم، والكرم المستمر، والرجاء الصادق، وإحضارها في الواجهة الأمامية من وعي السامعين. فالإسكندري يعاني مشقة الترحال بسبب الاحتياج بعد أن كان يوجد بمختلف أنواع النعم صباحا مساء.

وللمطابقة والمقابلة مفعول حجاجي ذو ثلاثة وجوه: يتمثل أولها في شدّ الأسماع وتهيئة الأذهان لقبول المعاني والأفكار. ويتصل ثانيها بإبراز المعاني والأفكار المراد التمكين له في الأذهان. وأما الوجه

(5) Chaim Perelman, L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op. cit. p. 57.

(6) يرى بيرلمان وتيتيكاه أن بعض البنى الأسلوبية تنتج مفعولا جماليا متصلا بالتناغم والإيقاع وبعض الظواهر الشكلية المحضة. ويمكن أن يكون لها تأثير حجاجي من خلال ما يتولد عنها من إعجاب ومرح وانبساط وحماس.

Perelman (Chaim) et Tyteca (Lucie Olbrechts), Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, op. cit. p. 192.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009، ص 389.

(2) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 217.

(3) ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009، ص 67.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص 911.

(Enallage de personne) أو مستوى الزمن
(Enallage de temps)، ومن أمثلة ذلك:

- المثال 1: مَا هُنْتُ، حَيْثُ كُنْتُ، فَلَا يُزْرِينِي
عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْمَارِي.

- المثال 2: فَأَعْتَصْتُ بِالنَّوْمِ السَّهْرَ، وَبِالإِقَامَةِ
السَّفَرَ، تَتْرَامِي بِي الْمَرَامِي، وَتَهَادِي بِي
المَوَامِي.

- المثال 3: وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الإِحْتِيَاجِ،
وَسَيِّمُ الإِلْفَاجِ، فَأَنْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِنَقْضِ مَنْ
الْأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ، هُدَّتْهُ الْحَاجَةُ، وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ.

يستمد الالتفات طاقته الحجاجية من العدول،
لكونه عدولا نوعيا نسقيا يقع بين جملتين أو عدة
جمل. وقد جمع الإسكندري في المثال 1 بين الالتفات
في الضمائر والالتفات في الزمن، فعدل عن ضمير
المتكلم المفرد إلى ضمير المخاطب الجمع، وعدل
عن الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر. وأمّا في
المثال 2 فقد اقتصر على الالتفات في الزمن، فعدل
عن الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر. وعدل
في المثال 3 عن ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب
الجمع، ثم الغيبة من جديد، وعدل عن الزمن
الماضي إلى الزمن المستقبل فالزمن الماضي.

لم يُجر الإسكندري الالتفات من باب الترف
الخطابي والسعة في القول والتفنن في الكلام
أو الاستعارة النحوية على حدّ عبارة فروميلاغ⁽⁴⁾
وإنّما قصد إلى إتمام ما كان قد بدأ يعمل به بالصور
الصوتية، فنهض الالتفات بمفعول حجاجي ذي
أربعة وجوه: يتّصل أولها بكونه «أدخل في القبول

النفوس وتهدئة العقول، وأنّ ذلك من شأنه أن
يمهد السبيل أمامه للتمكين لدعواه، وحمل جماعة
الأصحاب على الانخراط فيها. ولكنّه كان يدرك
أنّ نشوة المسموع لن تعمّر طويلا ما لم يُشدّ أزرها
بما يوطلد أركانها، فعمد إلى تدعيمها بنوع آخر من
صور الخطاب يساعد في التقدّم خطوة أخرى نحو
السيطرة على عقول الجماعة وأفتدتها، فشحن
خطابه بصور تركيبية عدّة. فكيف تشغل الصور
التركيبية حجاجيا؟ وفيم تتمثل مصادر قوتها
الإقناعية؟ وكيف تكون عوناً للخطيب في إقناع
سامعيه؟

4- الصور التركيبية

لم يأل الإسكندري جهدا في إجراء الصور
التركيبية⁽¹⁾، فأوردها في مواضع عدّة من خطابه، وراوح
بين أنواعها، ومن أبرز هذه الأنواع الالتفات أو العدول
الواقع بين الجمل.

(أ) الالتفات

يسمى الالتفات «شجاعة العربية» وهو ثلاثة
أقسام: القسم الأول في الرجوع من الغيبة إلى
الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة، والقسم الثاني
في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن
الفعل الماضي إلى فعل الأمر. والقسم الثالث: في
الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل
بالماضي⁽²⁾. وجعل الزركشي أسباب الالتفات عامّة
وخاصّة⁽³⁾.

وقد وظّف الإسكندري في خطابه
الالتفات، سواء في مستوى الضمائر

(1) الصور التركيبية عند أوليفي ريبول ثلاث مجموعات: صور عن طريق الاختزال،
وأخرى عن طريق التكرار وثالثة عن طريق التبادل.
Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, op. cit. pp. 132-136.

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 408-418.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 820-830.

(4) ترى فروميلاغ أنّ الالتفات استعارة نحوية، وأنّ التحوّل المنطقي الذي يؤسسه
يقوم على مبدأ نقل الإطار التلقّي. يُنظر:
Catherine Fromilhague, Les figures de style, op. cit. p. 71.

ويحرّك ما سكن في دواخلهم من شيم الكرام.
فتنتابهم أريحية لولقوا لأبلوا ولو سئلوا لأعطوا.

وأما المثال 3 الذي عدل فيه الإسكندرّي عن الماضي إلى الحاضر فيجري إلى تأكيد استمرار فعل الترحال وتجدد فعل الخبط في الصحاري خبط عشواء. والتفت في المثال الأخير من الخطاب إلى الغيبة لغاية المبالغة في وصف الحالة التي صار إليها، استدرازا لنازعة الشفقة من عيسى بن هشام وصحبه. فالتأكيد والمبالغة مظهران من مظاهر تقوية حضور الأشياء في ذهن السامع. وقد بلغ الإسكندرّي بالاتفات الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها، إعدادا لها للاقتناع بما يعرض عليها من أطروحات، والإذعان لذلك والتسليم به. لم يكتف الإسكندرّي بهذا القدر من الصور التركيبية بل عضده بالتقديم والتأخير أو العدول الواقع داخل الجملة الواحدة.

(ب) التقديم والتأخير

التقديم والتأخير عند العرب القدامى «باب طويل العرض يشتمل على أسرار دقيقة»⁽⁴⁾، وقد انصرف النحاة إلى تعميده وتقنينه وبيان مواطنه، وتمييز «ما يقبله القياس ممّا يسهله الاضطراب»⁽⁵⁾. ومتى راعى المتكلم هذه المقاييس النحوية أفاد التقديم والتأخير «العناية والاهتمام»⁽⁶⁾. والتقديم والتأخير عند الجرجاني على وجهين⁽⁷⁾. وأما الزركشي فقد مقاييس النحاة والبلاغيين وأورد من معاني التقديم والتأخير وأبعاده الحجائية سبعة⁽⁸⁾.

عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملاً باستدراج إصغائه»⁽¹⁾ واستجلاب اهتمامه.

ويتصل ثانيها بالقصر والضغط على الأذهان والتوجيه، فالالتفات في المثال 1 من طريق الغيبة إلى طريق الخطاب مكن الإسكندرّي من مفاجأة جماعة الأصحاب وهزّم هزّا غير رقيق، والضغط على أذهانهم، وسد مسالك التأويل أمامهم، ولفت انتباههم وتوجيههم إلى أمر واحد، مفاده أنه ليس متسوّلاً من عرض الناس، وإنما هو شريف الأرومة كريم المنبت، نهكته النوائب وأجحفت بأمواله المصائب.

ويتصل ثالثها باستدراج السامع و«توريطة والرجح به في القضايا التي يتناولها الخطاب ولجعله طرفاً فيها معنيّاً بها»⁽²⁾، فكان جماعة الأصحاب مسؤولة عمّا وصل إليه الإسكندرّي من الهوان بسبب تقصيرها في جبر عثرات الكرام، وما عليها إلا أن تدرك الأمر، وترحم عزيز قوم ذلّ. ويتضح هذا التوريطة في المثال 3 لما أنجز عمل الأمر طالبا من جماعة السامعين سدّ نقصه وإصلاح افتقاره.

ويتمثل رابعها في تقوية الشعور بحضور الأشياء أو المفاهيم مدار الالتفات في ذهن السامع⁽³⁾، فقد عمد الإسكندرّي في قوله في مثال آخر: «وَنَفَرْتُ نَفَارَ الْأَيْدِ، أَفْرِي الْمَسَالِكِ، وَأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكِ، وَأَعَانِي الْمَمَالِكِ» إلى تقوية حضور صورة المعاناة في أذهان السامعين حتى كأنهم يشاهدونها ويسمعونها جراء السفر المستمر والارتحال الدائم، فيغذّي هذا الحضور نازعة الإشفاق في صدور جماعة الأصحاب،

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 188.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج 1، كلية الآداب بمتنوية، 2001، ص ص 526-527.

(3) حصر بيرلمان وتينيكاه وظيفة الالتفات في تقوية الشعور بحضور الشيء في ذهن

المتلقي، يُنظر:

Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, op. cit. pp. 526-527.

على نتيجة واحدة مفادها أنه وُضِعَ بعد شرف
وذَلَّ بعد عَزَّ. والمقصد الأسنى من هذه الصورة
التركيبية التلميح إلى مقتضى تداولي وموضع
مشترك بين أطراف الخطاب بسبب انتمائهم إلى
الثقافة ذاتها، مفاده ارحموا عزيز قوم ذَلَّ.

ويتصل الوجه الحجاجي الثالث بالتشويق، فلما
كان الخبر في المتالين الرابع والخامس يتعلّق بقبيلة
المتكلم فقد وُلِدَ شوقاً ولهفة لدى جماعة الأصحاب
لسماع ما يُسند إلى هذه القبيلة، فإذا الكرم فيها
سجّية والعتاء طبع فقرائها قبل أغنيائها. فيكون
هذا القول أشدّ وقعاً في نفوس السامعين وأكثر
تأثيراً لأنه جاء عقب ترقّب وانتظار، ممّا يحفزهم
على أن يكونوا من الكرم بمنزلة قبيلة الإسكندري،
وهذا ما أهمته في تلك الصورة التركيبية.

كان الإسكندري واعياً على خلاف جماعة
الأصحاب أنه بصدد الحجاج بالمغالطة، وأنّ عليه
التسلّح بأساليب التضليل ما وسعه الأمر دون أن
يترك في خطابه ثغرة يتسرّب منها الشكّ وينقدح في
صدور سامعيه، فعمد إلى التلهي بعقولهم والتلعب
بها عن طريق المراوحة بين حدّي الوضوح والغموض
في الخطاب، فما إن يقرب إلى عقولهم المعاني
ويبسّطها كلّ البسط وينشرها كلّ النشر ينفر إلى
الغموض ويركن إلى الإضمار ويتوارى وراء الإبهام
ويستتر بالحذف من حيث هو صورة تركيبية.

(ج) الحذف

الحذف في البلاغة العربية «باب دقيق المسلك،
لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر»⁽⁵⁾.
وستقف من دقائقه ولطائفه وعجائبه وسحره على
ما له مفعول حجاجي. وقد عرفه الزركشي بقوله:

وقد تواتر هذا الضرب من الصور التركيبية في
خطاب الإسكندري، ودونك الأمثلة التالية:

- المثال 1: رَحِبَتْ بِي عَبَسٌ.
- المثال 2: تَتْرَامِي بِي المَرَامِي، وَتَتَهَادِي بِي
المَوَامِي.
- المثال 3: أَخَا سَفَرٍ، جَوَابَ أَرْضٍ، تَقَادَفَتْ بِهِ
فَلَوَاتٌ.
- المثال 4: فِينَا مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَجُوهُهُمْ
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ.
- المثال 5: عَلَى مَكْتَرِيهِمْ رَزَقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ
المَقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَدَلُ.

يستمدّ التقديم والتأخير طاقتهما الحجاجية من
مصدرين: يتصل أولهما بالعدول، ويتصل المصدر
الثاني بما يضيفه التقديم والتأخير على الكلام من
حسن ورونق⁽¹⁾. وللتقديم والتأخير مفعول حجاجي
ذو ثلاثة وجوه: يتصل أولها بما ينتجانه من أريحية
ونشوة عند التقبل، وقد أجراه الإسكندري لعلمه أنّ
للتقديم في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق⁽²⁾.

ويتصل الوجه الحجاجي الثاني بالاهتمام
والعناية⁽³⁾، فالإسكندري في تقديمه للمفعول على
الفاعل قصد إلى إظهاره وإبرازه ليلفت اهتمام
السامع وعنايته، والمفعول في الأمثلة الثلاثة الأولى
هو الإسكندري ذاته، فهو من شرف وعزّ بانتسابه
إلى قبيلة عبس، ثم هو من وضع وذَلَّ فتقادفته
الفضاءات وطوّحت به الخطوب، فيكون الإسكندري
بتبئير المفعول قد بارّ ذاته ولفت إليه عناية السامع
واهتمامه، وأنجز تبئير اهتمام⁽⁴⁾، وقصر الملفوظ

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 219.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 223.

(3) سيبويه، الكتاب، ص 21.

(4) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج 1،

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 108.

ولكن الإسكندرّي عرته بهتة وعلته حيرة، فشكّ في أنّ جماعة الأصحاب قد تقصر عقولها عن الإحاطة بمعانيه، وإدراك المقصود منها، وتمثّل الدعوى، فعمد إلى التكتيف من التكرار حتى يبلغ المعنى إلى مستقرّه، ويُنفذه في الصدور والأذهان.

(د) التكرار

التكرار عند العرب القدامى قسمان: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ⁽⁴⁾. وقد عدّ الزركشي فوائده⁽⁵⁾. وله مواضع يحسن فيها وأخرى يقبح فيها⁽⁶⁾.

وقد أجرى الإسكندرّي من نوعيّة تكرر المعنى دون اللفظ، وسنقتصر على الأمثلة التالية:

- المثال 1: فَطَلَعْتُ مَنْ هَمْدَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ، وَنَفَرْتُ نَفَارَ الْأَيْدِ، أَفْرِي الْمَسَالِكِ وَأَقْتَضِرُ الْمَهَالِكِ.
- المثال 2: جُبْتُ الْأَفَاقَ، وَتَقَصَّيْتُ الْعِرَاقَ.
- المثال 3: هَدَّتْهُ الْحَاجَةُ، وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ.

لتكرار المعنى في جميع هذه الأمثلة بنية واحدة هي التالية: (أ/ أ)، بسبب تكرر المعاني تكرارا مباشرا. ووردت هذه البنية في المثال الأول على النحو التالي: (أ/ أ / ب/ ب)، فقد كرّر الإسكندرّي في الجملتين الأولىين معنى كَيْفِيَّةِ الطلوع، وكرّر في الجملتين المواليين كَيْفِيَّةِ قطع المسالك.

يستمد التكرار في هذه الأمثلة طاقته الحجاجيّة من ثلاثة مصادر: يتّصل أولها بالعناية، فقد اعتنى الإسكندرّي في المثال الأول بمعاناته أثناء ترحاله، ورام المبالغة في تصويرها. ويتّصل ثانيها بتخصيص المعنى وتدقيقه، فقد أطلق الإسكندرّي

«إسقاط جزء الكلام أو كلّ دليل»⁽¹⁾. وذكر له أحد عشر سببا⁽²⁾.

ولئن لم يُكثر الإسكندرّي من الحذف أو يَنوِّع صوره فإنّه غنم من مقاصده وأبعاده الحجاجيّة الغنم الأسنى في التمكين لدعواه. ودونك المثال التالي (الخصيف):

بِأَمَدٍ مَرَّةً وَبِرَأْسِ عَيْنٍ

وَأَحْيَانًا بِمَيِّا فَارِقِينَا

لما كان الحذف لا يجوز إلاّ لدليل تتعذّر صحّة كلام الإسكندرّي عقلا إلاّ بتقدير محذوف يدلّ عليه العقل. وقد حذف الإسكندرّي النواة الإسناديّة، فضمّن كلامه السابق لهذا البيت دليلا على المحذوف في قوله: «فِرَاشِي الْمَدْرُ، وَوَسَادِي الْحَجْرُ».

ويستمدّ الحذف طاقته الحجاجيّة من تفخيم المحذوف، وتهويل أمره، فالإسكندرّي لم يقصد بتعديد الأطر المكانية هنا كونه فاني العصا دائم الترحال، وإنّما قصد إلى تهويل معاناته نتيجة إقامته في كلّ مكان على حال من الهوان والاحتياج إلى الفراش والوسادة أدنى مرافق النوم الضروريّة.

وللحذف مفعول حجاجيّ ذو وجهين: يتمثّل أولهما في تشييط أذهان الأصحاب فتذهب كلّ مذهب في تقدير نوع المعاناة التي واجهها الإسكندرّي في كلّ مكان من الأمكنة المذكورة في الشعر. ويتّصل الوجه الحجاجيّ الثاني بسرعة نفاذ المعنى وتهيئة جماعة الأصحاب للتأثر والتفاعل مع الإسكندرّي، على حدّ عبارة ريشارد أركاند⁽³⁾.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 685.

(2) المرجع نفسه، ص 687 - 689.

(3) للحذف عند ريشارد أركاند وظائف جماليّة وأخرى حجاجيّة، أبرزها أنّه يجعل التعبير وجيزا وينفذ بسرعة. ويكون أكثر حيويّة، ويخلق نوعا من التقارب مع المتلقّي الذي سيعمل على البحث عن المحذوف، كما يهيئ الجمهور للتأثر. Richard Arcand, Les figures de style, op. cit. pp. 68-69.

(4) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 209.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 628-642.

(6) ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، ص 469-472.

السمع والفؤاد، وتطلعت إليه الوجوه وأشرأت إليه الأعناق وهفت إليه الأفتدة ومالت إليه العقول، وأمن غائلة عدوين قاتلين في مثل مقامه، هما النسيان وعدم الانتباه.

ولما بلغ من مراده هذا المبلغ واحتوى جماعة الأصحاب واستتب له الأمر على النحو الذي يريد عمد إلى مخاطبة العقول ومحاورة الأذهان لجرها إلى التسليم والإذعان. فالتأثر شكلة سريعة الانطفاء وأما الاقتناع فمسلك إلى الفعل. ولذلك طعم خطابه وزوده بقطوف دانية من صور الدلالة. ولئن استمدت صور التركيب جانبا من قوتها الإقناعية من استنادها أساسا إلى المصرح به في الخطاب، فمن أين تستمد صور الدلالة قوتها الإقناعية؟ وكيف تشتغل حجاجيا؟ وفيم يتجلى مفعولها الحجاجي؟

5- صور الدلالة

خمن الإسكندري ورجح أن تكون هذه الجماعة المنصتة أمامه ليست من أهل الأدب، ولم تسبر أغواره، ولم تقتبس أنواره. فتوسل بما عد من صور الدلالة الأقدر على تبليغ المعنى، لاعتماده مسلك الحواس في طريقه إلى العقل.

(أ) التشبيه

ساق الإسكندري في خطابه تشابيه عدة، نذكر منها التشبيه البليغ التالي: «قَلَعْتِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلَعِ الصَّمْغَةِ». واتخذ هذا التشبيه البنية التالية: (أ Ø ج). ويفيد العنصر «أ» المشبه وهو «قلع حوادث الزمن للإسكندري». ويفيد العنصر «ج» المشبه به، وهو «قلع الصمغة». وترمز العلامة Ø إلى المحل الشاغر في هذه البنية التشبيهية، ويمثل وجه الشبه.

في الجملة الأولى من المثال الثاني معنى قطع الآفاق والطواف بها، وخصص في الجملة الثانية المعنى ودققه، وجعله في حدود العراق وأقاصيها. ومثلما تقصى العراق وبلغ أبعاد مسافة فيه تقصى البلدان الأخرى حتى بلغ جرجان في شمال إيران. ويتمثل مصدر الطاقة الحجاجي الثالث في زيادة التنبيه، فقد ألح الإسكندري في المثال الثالث على معنى الإملاق وتضايق الأرزاق.

وللتكرار مفعول حجاجي ذو خمسة وجوه: يتصل أولها بإثارة السامعين عن طريق المبالغة وتحفيزهم على الانخراط في الخطاب تأثرا أو اقتناعا بما أثبت وقرّر، وانتظار ما قد يترتب على ذلك من ردود أفعال وتغيير ألوان سلوك. ويتصل المفعول الحجاجي الثاني بما يولده تخصيص المعنى وتدقيقه في الأصحاب المنصتين من الإحساس بمشقة الظمن وألم الاغتراب وافتقاد الأهل وانعدام الوطن والسكن. ويتصل المفعول الحجاجي الثالث بما يترتب على زيادة التنبيه من تحريك نازعة التفجع والتوجع لدى جماعة الأصحاب، ويحملهم على الإسراع بالصلة والتعجيل بالعطية. ويتمثل المفعول الحجاجي الرابع في التأسيس لقيمة المساعدة وتكثيف حضورها في أذهان الأصحاب. وأما المفعول الحجاجي الخامس فيتصل بالضغط على أذهان الأصحاب لتوجيهها نحو السلوك الذي تقتضيه قيمة المساعدة. وذلك أقصى ما يمكن أن يصل إليه أي خطاب حجاجي، بل الرتبة العليا في السلم الحجاجي.

أيقن الإسكندري أنه بجناسه وسجعه وبما قدم وأخر وحذف وكرّر قد أوصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن، فملك على جماعة الأصحاب

وإجماع الضمان للمرور من القول إلى النتيجة في
تصوّر تولمين⁽⁴⁾، أو قانون العبور. ونوضّح ذلك
بالترسيمة التالية:



ينتقل الأصحاب من المفروض التشبيهي إلى
النتيجة أي وجه الشبه عبر قانون العبور الذي يمثل
موضوعا مشتركا وحكما مسلما به. ويستمد التشبيه
من خلال هذا الموضوع المشترك قوّته الإقناعية
وسلطته التأثيرية، ويبلغ المعنى إلى السامع، فتتمو
لديه نازعة الشفقة وتبرعم من حيث لا يعلم.

ولم يقتصر الإسكندري على التشبيه البليغ، بل
عزّوه بالتشبيه المرسل. وقد ورد في موطنين اثنين:
وصف في أولهما ابن المضيّف الهمداني قائلا: «كَأَنَّهُ
سَيْفٌ يَمَانٍ، أَوْ هَالَالٌ بَدَأَ فِي غَيْرِ قَتْمَانٍ». ووصف في
ثانبيهما ابنه (البيسط):

«كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ»

في مَلْعَبٍ مِنْ عَدَارَى الْحَيِّ مَفْصُومٌ.

واشتغل حجاجيا على نحو مغاير، ويحوجنا
تحليل كيفية اشتغاله إلى أن نستعير من التلقظية
مفهوم وجهة النظر⁽⁵⁾ أو الجهة الدالة على موقف
المتكلم (Locuteur) ناطقا أو صامتا⁽⁶⁾ من
موضوع كلامه ومضمونه. ويمثّل هذا الموقف حكم

ويؤدي المفهوم الأوّل المستفاد من المشبه به
أي العنصر (ج) إلى وجه الشبه، فقلع الصمغ في
عالم خطاب جماعة الأصحاب يعني «انقلع كله
من الشجرة ولم يبق له أثر، وربما أخذ معه بعض
لحائها»⁽¹⁾. وقد بار التشبيه قيمة⁽²⁾ واحدة في
المشبه به، مفادها عدم الإبقاء على شيء. وتمثّل
هذه القيمة معلومة قديمة عند الأصحاب، فيجدون
أنفسهم مجبرين على مواصلة المسار الحجاجي
لاستخراج القسم المضمّر في كلام الإسكندري،
وهو وجه الشبه. ثم ملء المحلّ الشاغر في البنية
التشبيهيّة. ويمثّل هذا القسم المضمّر معلومة
جديدة بالنسبة إليهم، ومفادها أنّ حوادث الزمن
لم تبق للإسكندري شيئا، وأنّه أصبح أفلس من فأر
في زنزانة⁽³⁾.

وقد عدل الإسكندري عن المحلّ الشاغر، وهو
وجه الشبه، لكونه يمثّل معلومة جديدة قد تكون
موضوع إنكار أو جحود، إلى العنصر (ج)، وهو
المشبه به، لكونه يمثّل معلومة قديمة تعدّ محلّ اتّفاق
وإجماع بينه وجماعة الأصحاب. وتكون على هذا
النحو المعلومة القديمة «قلع الصمغة» المستفادة من
العنصر (ج) أو المشبه به، تثبيتا للمعلومة الجديدة
أي وجه الشبه، ويمثّل في أفلاس الإسكندري التأم
والسريع. وهو الدعوى التي يسعى إلى إثباتها
وتأكيدا.

وتمثّل المعلومة القديمة التي هي موضع اتّفاق

(4) Stephen Edelston Toulmin, Les usages de l'argumentation, P.U.F. Paris, 1993, p.122.

(5) وجهة النظر عند رباتال أنواع منها وجهة التّظر المثلّة ووجهة النظر المحكيّة ووجهة النظر المثبة. للتوسّع يُنظر:

Alain Rabatel, Argumenter en racontant, Editions De Boeck Université, Bruxelles, 2004, p-p. 23-50.

(6) يكون المتكلم ناطقا إذا لم يكن متفظا (Enonciateur)، ويكون صامتا إذا كان متفظا أي صاحب الأفكار ووجهة النظر والإدراك المثلّ، للتوسّع يُنظر:

Alain Rabatel, la construction textuelle du point de vue, Delachaux et Niestlé S. A, Lausanne (Switzerland) - Paris, 1998, p. 9.

(1) ابن منظور، لسان العرب، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأوّل، 2009، ص 10956.

(2) ترى تامين أنّ الحجاج في التمثيل خصوصا في الاستعارة يجري إلى إبراز قيم أو عناصر جديدة.

Joelle Gardes Tamine, La rhétorique, op. cit. p. 163.

(3) يرى عبد الله صولة أنّ الصور وتحديد الاستعارات بمختلف أنواعها وخصوصا الاستعارة التصريحية، والتشبيه المجل بصفة عامّة والبالغ بصفة خاصّة تستمدّ حجاجيتها من المحلّ الشاغر في بنيتها.
عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ج 2، ص ص 622-642.

الأبوة، ويضجّ في قلوبهم الإحساس بقلّة حيلة الأطفال، فيعجلون بتوفير نفقة الطريق ويخرجونه إلى السعة بعد الضيق.

كان الإسكندرّي يدرك أنّه في مقام استجداء واستعطاف وتسوّل، وأنّ التصريح في هذا المقام وشبهه قد يريق ماء وجهه ويذهب بصورة الوجهة التي ما فتئ يبينها لذاته في خطابه، فعمد إلى المراوحة بين التصريح بالمعنى والكناية عنه. ونحن نقدر أنّ هذه المراوحة مرتبطة بما يتبيّن الإسكندرّي من مشاعر القوم عند التفرّس في وجوههم الناظرة إليه، وما يصدر عن تفاعلهم حياة وحركة.

(ب) الكناية

عمد الإسكندرّي إلى الاحتماء بالكناية تبعاً لنبض قلوب جماعة الأصحاب. ونذكر من الكنايات التي ساقها: «أصَبَحْتُ فَارِغَ الْفِنَاءِ، صَفِرَ الْإِنَاءِ». لهذه الكناية البنية التالية: (Ø ج). ويفيد العنصر «ج» المكنّى به وهو «فارغ الفناء، صفر الإناء». وتفيد العلامة Ø المكنّى عنه. وهو المحلّ الشاغر في التعبير الكنائي. ويُستفاد المفهوم الأوّل في هذا التعبير الكنائي من المكنّى به. ويفيد في عالم خطاب الأصحاب الثقافى هلاك المواشي وفراغ الأواني من الطعام والشراب. وقد بأر المكنّى به قيمة واحدة، وهي الاحتياج. وتمثّل معلومة قديمة لدى الأصحاب، ومحلّ اتّفاق وموضعا مشتركا بينهم والإسكندرّي. ويجد الأصحاب أنفسهم ملزمين بمواصلة المسار الحجاجي للوصول إلى المكنّى عنه الذي يمثّل معلومة جديدة. ثمّ ملء المحلّ الشاغر.

وقد عدل الإسكندرّي في هذا التصوير الكنائي عن المعلومة الجديدة أو المكنّى عنه، وهو إفلاسه المستحکم وفقره المدقع وعوزه المستفحل وانعدام

قيمة أخلاقيّ أو عاطفيّ⁽¹⁾، ففي المثال الثاني وصف الإسكندرّي ابنه بجمال الصورة، وانكسار القلب لأنّه ملقى منسّي محروم من عاطفة الأبوة. ولكنّه عدل عن هذا الوصف الصريح والمباشر إلى الوصف بالتشبيه، فأضاف إلى المعنيين السابقين دلالة إيحائيّة هي الإعجاب والتألّم. وتمثّل هذه الدلالة الإيحائيّة حكماً عاطفيّاً أو تقويماً عاطفيّاً وموقفا صادرا عن جهة تقويمية هي الإسكندرّي ذاته⁽²⁾، فهو الذي أعجب بجمال ابنه، وتألّم لحاله السيئة كيفما قلبت.

ويكون الإسكندرّي بعدوله عن الوصف الصريح والمباشر إلى الوصف بالتشبيه قد استدعى جهة جماعيّة، لأنّ البيت الشعريّ المستشهد به لذي الرمة في وصف خشف. وذو الرمة (77هـ/117هـ) آخر المنتسبين إلى المرحلة التأسيسية والمرجعية في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، فيكون الاستشهاد بصور ذي الرمة بمنزلة الحجاج بالسلطة. والإسكندرّي بهذا العدول «يفسر وجدانه الشخصيّ بالوجدان الجماعيّ ويعضد جهته الخاصّة بالجهة الجماعيّة»⁽³⁾، أو «الإيتوس الجماعيّ»⁽⁴⁾.

ويؤمّن الوصف بالتشبيه قدراً أدنى من سريان الإحساس بالألم لحال هذا الطفل من الإسكندرّي إلى جماعة الأصحاب، فتعجّ في صدورهم عاطفة

(1) Catherine Kerbrat-Orecchioni, L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin, 4ème édition, Paris, 2002, p.94.

(2) من وجهة نظر لسانيات التلقظ فإنّ الإسكندرّي هو المتكلم، فهو منجز العمل القولبي، وأمّا المتلقظ فهو ذو الرمة صاحب البيت الشعريّ لأنّه صاحب وجهة النظر والإدراك المثلّ.

(3) عبد الله صولة، الحجاج والتفاعل من خلال أسلوب التشبيه في «إبراهيم الكاتب» للمازني، ضمن في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2011، ص 174.

(4) Yana Grinshpun, Ethos collectif ethos individuel, un problème de construction d'identité lors des manifestations universitaires de 2009, in analyse du discours et dispositifs d'énonciation, Lambert-Lucas, 2015, p. 261.

فختم كلامه بالدعاء شعرا إمعانا في استمالة النفوس وإذعان العقول، ثم أمسك ينتظر.

وعاد من جديد السياق التخاطبي الداخلي الأول، وأنجز عيسى بن هشام عمل السرد، وجهر المفوظ فيه بما كان من أمر الأصحاب، فقد انفعوا بخطاب الإسكندري وتفاعلوا معه، وحوّلوا اقتناعهم عملا وتأثرهم إنجازا، فمنحوا الإسكندري ما كان تحت أيديهم من صامت المال دون ناطقه في مجمعهم ذاك.

خاتمة

إنّ شخصيّة الإسكندريّ في هذه المقامة شكل فارغ يحلّ فيه كلّ مكّد محتمل يستعمل الخطاب وأساليب المغالطة والتضليل لتحفيز السامع على إنجاز فعل والعدول عن آخر مثلا حلّ فيه سابقا السفسطائيّ في الثقافة اليونانيّة والطفيليّ في الثقافة العربيّة. بل إنّ الإسكندري ينضو عنه عباءة الشخصيّة الورقيّة ليحيل على كلّ من يسعى إلى الإقناع والتأثير بواسطة الخطاب، موظّفا كلّ ما فيه من صور.

ولئن كانت صور الخطاب تشترك في كونها عدولا⁽⁴⁾ صوتيا أو تركيبيا أو دلاليا أو تواصليا فإنّها تشتغل حجاجيا اشتغالا متفاوتا، وتتحوّل طاقتها الجماليّة مصدرا من مصادر التأثير والإقناع. وتعطي مفعولا حجاجيا مختلف القوّة من صورة إلى أخرى ومن سياق إلى آخر، فتؤثّر في القلوب، وتؤدّي العقول إلى الإذعان أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، وتحفّز على الفعل. ويستمدّ الكلام قدرته على النفاذ من هذا المفعول الحجاجي الذي تزوّده به صور الخطاب.

الدرهم والدينار لديه. وتستند هذه المعلومة إلى حكم قد يكون موضوع اعتراض أو إنكار من جماعة الأصحاب. وعدل إلى المعلومة القديمة أو المكتنى به أو العنصر (ج)، وهو حكم مسلّم به أو موضع مشترك بين المتخاطبين ويتمثّل في كون المحتاج لا يملك شيئا⁽¹⁾. فجماعة الأصحاب لا تنكر كون المحتاج لا يملك شيئا، ولكن قد تنكر كون الإسكندريّ من المحتاجين. ونوضّح طريقة مرور الإسكندريّ من الحجّة إلى النتيجة عبر الضمان أو قانون العبور بالترسيمة التالية:



أثر الإسكندريّ مسلك الكناية على مسلك التصريح لقدرة الكناية على النفاذ بالمعنى إلى حيث يجب أن يستقرّ. وهي أكد في الدعوى وأبلغ⁽²⁾، وأعلى درجة في الإقناع من المعنى الحقيقي. وليس ذلك لدورها في تخميم معنى الاحتياج في ذهن السامع والمبالغة فيه، وإنّما لدورها في زيادة إثبات معنى الاحتياج وتأكيده من وجه أبلغ. ممّا يبسر على الإسكندريّ التأثير في الأصحاب واستمالتهم إلى القبول بمعانيه وأفكاره⁽³⁾.

ولمّا رأى أبو الفتح الإسكندريّ عيون القوم تلمع دمعاً، والوجوه متقبضة ألماً، علم أنّه حزّ فيهم المفصل، وأصاب منهم المقتل، وخب الألباب وسلب القلوب وبلغ بالخطاب ما لا يبلغه من طرق أخرى،

(1) يرى مارك بونوم أنّ صوت الآخر يحضر أثناء إنتاج الكناية.

Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, op. cit. p. 240.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 58.

(3) تمكّن الكناية عند ريشارد أركان من التحكّم في الآخرين في مستوى الأفكار.

وتجنّب المتكلم مخاطر المجازفة.

Richard Arcand, Les figures de style, op. cit. p. 77.

(4) يرفض فرنسو راستي تعريف الاستعارة استنادا إلى مفهوم العدول.

François Rastier, Rhétorique et interprétation des figures, in Figures de la figure, Sémiotique et rhétorique générale, Presses Universitaires de Limoges, 2008, p. 86.

- ابن الأثير (ضياء الدين) ،
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- ابن جنّي (عثمان)، الخصائص، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- ابن رشيق (الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- ابن المعتزّ، (عبد الله)، البديع، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- ابن معصوم (علي بن خان)، أنوار الربيع في أنواع البديع، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- ابن منظور (جمال الدين)، لسان العرب، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- الجرجاني (عبد القاهر)،
- أسرار البلاغة في علم البيان، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1972.
- السكاكيّ (أبو يعقوب)، مفتاح العلوم، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- سيويوه (عمرو بن عثمان)، الكتاب، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- صولة (عبد الله)،
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب بمنوبة، 2001.
- الحجاج والتفاعل من خلال أسلوب التشبيه في «إبراهيم الكاتب» للمازني، ضمن في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2011.
- القزويني (محمّد بن عبد الرحمان)، الإيضاح في علوم البلاغة، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، 2009.
- مشبال (محمّد)، بلاغة صور الأسلوب وأفانق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب، دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، 2014.

وتؤدّي هذه النتيجة إلى تهافت تصنيف صور الخطاب صنفين متقابلين وظيفياً: صوراً شعريّة تجري إلى الإمتاع، ومجرّدة من كلّ بعد حجاجيّ. وأخرى حجاجيّة تجري إلى الإقناع، ومجرّدة من كلّ بعد جماليّ. فالوظيفتان الإمتاعية والإقناعية ماثلتان بالقوّة في صور الخطاب⁽¹⁾، فكلّ صورة وجهان متلازمان تلازم الوجه والقفا، وهما الوجه الجماليّ والوجه التداولي. ويظلّ للسياق فضل الفصل بينهما، وبيان التفاوت في درجات حضور كلّ منهما في الصورة الواحدة، والتمييز بين وهج بعد وخفوت آخر. ويعضد البعد الجماليّ في الصورة المقصد التداولي ويكون له عوناً في بعض السياقات. ويعضد البعد التداولي المقصد الجماليّ ويكون منه بمنزلة السند في سياقات أخرى. واعتبر ريبول لهذه الأسباب الصورة منحة إمتاعية ومنتعة أسلوبية لتحرير الحجّة، فإذا كانت الحجّة هي الإسفين فإنّ أداة دقّها هي الصورة⁽²⁾. وإذا كانت البلاغة اليوم تسعى إلى توسيع المنطقة الوسطى التي تشترك فيها بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع أو الإنشائيّة والحجاج، فإنّه يمكن القول: إنّ صور الخطاب تمثّل عاصمة المنطقة الوسطى المشتركة بين بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع.

المصدر:

- بديع الزمان الهمذانيّ، المقامات، شرح محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.

المراجع العربيّة:

- ابن أبي الإصبع (عبد العظيم)، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأول، 2009.

(1) تنهض صور الخطاب عند تامين بالوظائف نفسها، فهي تخلق الرؤية لترسيخ الخطاب في أذهان السامعين وتجسّم الحجج المجردة وتحسّن الخطاب للإمتاع وتمنحه القوّة للتأثير.

Joelle Gardes Tamine, La rhétorique, op. cit. p. 160.

(2) Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, op. cit. pp. 121-122.

figures de style, Armand Colin, 2ème édition, Paris, 2011.

- Ricoeur (Paul), La métaphore vive, Editions du Seuil, 1975.
- Robrieux (Jean-Jacques), Rhétorique et argumentation, Editions Nathan/Her, Paris, 2000.
- Perelman (Chaim), L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, Librairie philosophique, J. Vrin, 2ème édition, Paris, 2002.
- Perelman (Chaim) et Olbrechts-Tyteca (Lucie), Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Editions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, 2008.
- Plantin (Christian), L'argumentation, Collection MEMO, Edition du Seuil, Paris, 1996.
- Tamine (Joelle Gardes),
- La rhétorique, Armand Colin, 2ème édition, Paris, 2011.
- Pour une nouvelle théorie des figures, PUF, Paris, 2011.
- Toulmin (Stephen Edelston), Les usages de l'argumentation, P.U.F. Paris, 1993.

المراجع الأجنبية:

- Amossy (Ruth), La place de l'influence et de la persuasion dans l'analyse du discours, in L'analyse de discours sa place dans les sciences du langage et de la communication, Presses Universitaires de Rennes, 2015.
- Arcand (Richard), Les figures de style, Les Editions de L'HOMME, Quebec, 2004.
- Aristote, Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991.
- Bonhomme (Marc), Pragmatique des figures du discours, Editions Champion, Paris, 2005.
- Breton (Philippe), L'argumentation dans la communication, Editions La Découverte, Paris, 1996.
- Fontanier (Pierre), Les figures du discours, Flammarion, Paris, 1977.
- Fromilhague (Catherine), Les figures de style, ARMAND COLIN, Paris, 2005.
- Grinshpun (Yana), Ethos collectif ethos individuel, un problème de construction d'identité lors des manifestations universitaires de 2009, in analyse du discours et dispositifs d'énonciation, Lambert-Lucas, 2015.
- Kerbrat-Orecchioni (Catherine), L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin, 4ème édition, Paris, 2002
- Maingueneau (Dominique), Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990.
- Rabatel (Alain)
- la construction textuelle du point de vue, Delachaux et niestlé S. A, Lausanne (Switzerland) - Paris, 1998.
- Argumenter en racontant, Editions De Boeck Université, Bruxelles, 2004.
- Reboul (Olivier), Introduction à la rhétorique, Presses Universitaires de France, 2ème édition, Paris, 1994.
- Ricalens-Pourchot (Nicole), Dictionnaire des